تجليات الصحراء في شعر ألجواهري
نماذج مختارة

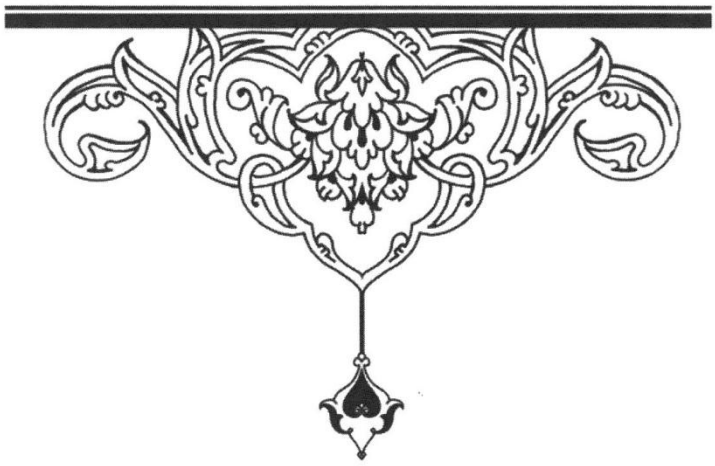

الباحث: م.م عبدالامير دلي مجباس
وزارة التربية العراقية ، مديرية تربية ذي قار ، قسم تربية الشطرة

تجليات الصحراء في شعر ألجواهري
نماذج مختارة

الباحث: م.م عبدالامير دلي مجباس
وزارة التربية العراقية ، مديرية تربية ذي قار ، قسم تربية الشطرة

الملخّص:
اختصت هذه الدراسة بحضور مفردة (الصحراء) أو عبر مجموعة من الألفاظ التي تنتمي إلى معجم (الصحراء) بوصفها مكانا ورمزا ودلالة في شعر الشاعر العراقي محمد مهدي ألجواهري وذلك عبر نماذج مختارة من شعره ، وقد حاولنا تسليط الضوء على هذه المفردة من خلال تلك النماذج المختارة من شعر ألجواهري فضلا عن التصوير الشعري الفني لمفردة (الصحراء).
ويتناول هذا البحث تمهيد للفظة (الصحراء) لغة واصطلاحا ، ثم عرض البحث لأثر(الصحراء) في شعر ألجواهري فنيا وما تضمنه من تأثير في أفكاره ومعانيه ومخيلته ، وفيها صور استمدها الشاعر من مخيلته الصحراوية وآلفها مع المدنية والحداثة ،
الكلمات المفتاحية: (الصحراء، محمد مهدي ألجواهري ، الشعر) .

Abstract
This study was devoted to the presence of the word (desert) or through a group of words that belong to the dictionary (the desert) as a place, a symbol and a sign in the poetry of the Iraqi poet Muhammad Mahdi Al-Jawahiri through selected examples of his

poetry, and we have tried to shed light on this term through these selected models From the poetry of Al-Jawahiri as well as the artistic).poetic photography of Mufrada (the desert

This research deals with a preface to the term (the desert) in language and idiom, and then presented the research to the effect of (the desert) in the poetry of Al-Jawahiri artistically and its implications in terms of his ideas, meanings and imagination, and it includes images that the poet drew from his desert imagination and familiarized it with

. civil and modernity

Key words: The desert,, Mohamed Mahdi El Jawahry, poetry.

١-إشكالية البحث

تحتل (الصحراء) مساحة كبيرة في حياة الإنسان وقد شكّل هذا المكان بؤرة فنية وباعثا ملهما لكثير من الشعراء ، والناظر في الشعر العربي الحديث تستوقفه هذه المفردة بصورها الجمالية والفنية لتشكل ظاهرة بارزة فيه ؛ إذْ اتّخذت أبعادا حداثوية ترتبط بكل جوانب الحياة السياسية و الاجتماعية وغيرها، وقد أثّرت (الصحراء) في نفسية الشاعر تأثيرا ملموسا ، وقد كان لهذه المفردة صلة وثيقة بالشعر العراقي الحديث متمثلا بالشاعر محمد مهدي ألجواهري ومن هنا حاولنا البحث والتقصي عن هذه التساؤلات وغيرها :

١. المقاصد التي سيق من أجلها مفردة (الصحراء) سواء كانت رمزا أم صورة.
٢. هل وظف الشاعر هذه المفردة بشكل ايجابي أم لا ؟

٢- أهمية البحث

إن مفردة (الصحراء) لفظة غائرة في القدم الشعري ضاربة جذورها في تاريخ الشعر العربي القديم ، فقد كانت الباعث والملهم للكثير من قصائد الشعراء في مختلف بقاع الأرض العربية ، وإذا كانت لهذه المفردة أهمية بالغة في الشعر العربي القديم فإنها بالتأكيد عاملا مؤثرا وباعثا مهما في شعر ومخيلة الشعراء في الشعر العربي الحديث والمعاصر ممن سلكوا طريق الشعر العربي القديم ونهجوا منهجه ومنهم الشاعر محمد مهدي ألجواهري .

وهنا تأتي أهمية البحث كونها تبحث في طرفين مهمين وهما (الصحراء) و(ألجواهري) فكلاهما غرس كبير في الشعر العربي وكلاهما يرمزان إلى معان تجذر وعمق إبداعي وفني بالنسبة للشعر والأدب .

٣- أسئلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن أهم الأسئلة والتي تتلخص بما يأتي:

١-ما هي أهم ملامح التأثر بمفردة (الصحراء) أو ما يرادفها من ألفاظ في شعر محمد مهدي ألجواهري.

٢-ما الصور والرموز والإيحاءات التي ضمنها الشاعر محمد مهدي ألجواهري لمفردة (الصحراء) في نماذج مختارة من شعره .

٤- الأهداف المرجوة من البحث :

تهدف الدراسة إلى بيان تأثير مفردة (الصحراء) أو مايرادفها من ألفاظ في مضمون شعر محمد مهدي ألجواهري ، كما يهدف هذا البحث إلى إظهار كيفية تأثير المكان- الصحراء الطبيعي ومدى التأثر والتأثير بنفسية الشاعر ، وقد تكون هذه الدراسة مفتاحا للبحث والتقصي عن هذه المفردة في شعر شعراء آخرين.

٢- البحث التمهيدي:

يكتسب المكان – أي مكان – دلالة رمزية تعبّر عن أحاسيس الحبّ والولاء له بوصفه جزءا من هوية الفرد أو الأمة ، وحضور المكان ليس حضورا عاديا فحسب وإنما هو حضور لقيم أخرى تتعلق بالإنسان والحياة والموت والحبّ والولاء الذي يمثل صورة أوليّة من صور حبّ الوطن ، وقد يحمل المكان في طياته رموزا تساعد في

عملية التواصل بين القارئ والنص الإبداعي ،فهو يسهم في بلورة الرؤى والأفكار وبناء الشخصيات والأحداث داخل النص .

ولذلك فان(للمكان ابعادا نفسية تؤثر في الذات البشرية سلبا وايجابا ، وفقا لما يثيره هذا العنصر من مشاعر وأحاسيس؛ فهو المرآة العاكسة لذات الإنسانية من أفعال وأقوال، أتخذ منه الشاعر ملاذا للحرية و السكينة عاش فيه، وخلف فيه ذكريات وحوادث، كان يستذكرها كلما عاد ورجع إليه) [١].

والشاعر بدوره يلقي بضلاله من خلال احساسيه ومشاعره الجياشة على المكان في نصه الأدبي وهو نتاج مخيلته وما ينتج عنها من مفردات وأوصاف ترتبط ارتباطا مباشرا بحسه ومخيلته فـ(حس المكان حس أصيل عميق في الوجدان البشري) [٢] ، وحين ينجذب خيال الشاعر في نصه لمكان معين فاعلم أن خيال الشاعر الخصب وقريحته التي جادت بوصف هذا المكان أو ذاك ماهي إلا قريحة استمدت قواها من عقله الباطني الذي يعيش في ذلك المكان ويأوي إليه وتنهض به عزيمته المنتقاة رغبة في الإفصاح الظاهر عن شعور عميق إن هذا الوعي ينمو بالأحرى من الذاكرة المترسخة في المكان ويغتني بكافة تجاربه على تنوعها، ويسري في الجسم مسار الدم.

وهناك فرق واضح بين المكان الجغرافي أو الهندسي وبين المكان الفني يقول جاستون باشلا في ذلك : (إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقه مكانا لا مباليا ، ذا أبعاد هندسية وحسب ، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل ما للخيال من تحيز) [٣].

الصحراء لغة واصطلاحا:

صحر : الصحراء من الأرض : المستوية في لين وغلظ دون القف ، وقيل : هي الفضاء الواسع . زاد ابن سيده : لا نبات فيه . الجوهري : الصحراء البرية غير مصروفة ، وإن لم تكن صفة ، وإنما لم تصرف للتأنيث ولزوم حرف التأنيث لها ، قال : وكذلك القول في بشرى . تقول : صحراء واسعة ، ولا تقل : صحراءة ، فتدخل تأنيثا على تأنيث . قال ابن شميل : الصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد

ليس بها شجر ، ولا إكام ، ولا جبال ملساء . يقال : صحراء بينة الصحر والصحرة . وأصحر المكان أي اتسع . وأصحر الرجل : نزل الصحراء . وأصحر القوم : برزوا في الصحراء [٤] ، وتدل لفظة (صحر) على أصلين احدهما البراز من الأرض والأصل الأخر هو اللون من الألوان يقال : اصحر القوم إذا برزوا إلى الصحراء لا يسترهم شيء ،أما الأصل الأخر فهو اللون الأبيض المشرب بحمرة [٥].

ويقول ابن شميل وهو نحوي بصري من تلامذة الخليل : الصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر أو اكام ولا جبال ملساء ، يقال صحراء بنية الصحرة واصحر المكان أي اتسع واصحر القوم أي برزوا في الصحراء [٦] .

صحر الصَحْراءُ: البريَّةُ، وهي غير مصروفة وإن لم تكن صفة. وأصل الصَحارى صَحارِيٌّ بالتشديد، وقد جاء ذلك في الشعر. وأَصْحَرَ الرجل، أي خَرجَ إلى الصَحْراء. والصُحْرَةُ بالضم: جَوْبَةٌ تنجاب وسط الحَرَّةِ، والجمع صُحَرٌ. والصُحْرَةُ لون الأَصْحَرِ، وهو الذي في رأسه شُقْرَةٌ. وحمارٌ أَصْحَرُ: فيه حمرةٌ. وأتانٌ صَحْراءُ. واصْحَارَّ النبتُ اصْحيراراً، أي هاج. ويقال: لقيته صَحْرَةَ بَحْرَةَ، وهي غير مُجْراةٍ، إذا رأيتَه وليس بينك وبينه ساتِرٌ. والمُصاحِرُ: الذي يقاتل قِرنه في الصحراء ولا يخاتله. والصَحيرَةُ: اللبن الذي يُلْقى فيه الرَضْف حتَّى يَغْلِيَ ثم يصبُّ عليه السمن فيُشْرَب. وربَّما ذُرَّ عليه الدقيق فيُتَحَتَّى. تقول منه: صَحَرْتُ اللبن أَصْحَرُهُ صَحْراً.

وأما اصطلاحا فالصحراء (فضاء أهم ما يميزه هو التضحية بالمادي لصالح الروحي والرمزي فأغلب الشخصيات زاهدة في الحياة منكرة للتملك، ومولعة بنوع من الحرية الصوتية حتى حين تكون وثنية) [٧].

٣-٤منهجية البحث

الصحراء باعثا للحرية :

يقول ألجواهري في قصيدته (الصحراء في فجرها الموعود) وهي قصيدة نظمت في طنجة عام ١٩٧٤حين اشتداد أزمة الصحراء المغربية لانتزاعها من يد الاستعمار الاسباني في الحفل الذي أقيم للجواهري هناك [٨] :

صحراء فجرك موعود بما يلدُ والمغربيون أكفاء بما وعدوا

على جبينك من نضج النجوم ندى وفي رمالك من حباتها نضد

صحراء يا حرة مكمودة عنتا مهلا فكم فرحة وافى بها كمد
ستحمدين على العقبى حلاوتها كما تقطر بعد العلقم الشهد

انبرى الشاعر محمد مهدي ألجواهري في هذه القصيدة مدافعا عن صحراء المغرب ونظرا لأهمية وخطورة هذه القضية، فإنها لم تعد قضية الشعب المغربي وحده ، بل شغلت العرب في مختلف الجهات، فكان – ألجواهري – الصوت الوطني العربي القومي الذي صدح بوطنيته ،فـ(الأحداث السياسية في العراق والوطن العربي ، وتغيرها اليومي لم تغب عن ذهن الشاعر الذي كان يرصدها ويعيش في وسطها ،إلا أن تلك الأحداث لم تجر الشاعر إلى نثرية الشعر السياسي ، فلم تطغ على نسيجه روح الخطابية والوعظ ولم تنحدر لغته إلى مستويات رديئة من الركةوالابتذال). [٩]

مفردة الصحراء هنا عموما ذات دلالات متعددة ، فهي تدل من حيث المحتوى الفكري على انشغال الشاعر بالقضية القومية العربية الوطنية من جهة ، ومن جهة أخرى – شعور عاطفي – تدل على إن الشاعر يعارض كل تمزيق للوحدة الترابية للوطن العربي ، لقد استخدم ألجواهري مفردة الصحراء إيمانا منه بان الصحراء امتداد لتراب الوطن العربي كما الفجر امتداد لليل فالصحراء كأنها الصبح المشرق الذي يحمل في طياته الحرية والخلاص تلك الحرية التي كانت هاجسه أينما حل وارتحل وكما معروف أن الصحراء رمز للحرية بامتداد أرضها الواسعة المفتوحة التي قد لا ترى نهايتها ولذلك تعد الصحراء مكانا بؤريا فكذا هي الحرية شعور مفتوح قد لا ترى نهايته أيضا ، وكذلك فنه ربط بين قساوة الصحراء والحرية فكما الصحراء قاسية بطبيعتها وطبائعها كذلك تكون الحرية قاسية، وقد ربط الشاعر بين الفجر والصحراء إيذانا منه بما يحملانه – الصحراء والفجر– من خلاص من الضيق والعتمة المكانية والنفسية ،إن هذا النص الذي يتحدث فيه ألجواهري عن المكانين (الصحراء) و (المغرب) طغت فيه الصورة الفنية على التاريخية ، فقد تميزت نصوص ألجواهري المكانية بان الصبغة الفنية فيها طغت على الصبغة التاريخية أو كونها وثيقة تؤرشف لتاريخ المكان المذكور[١٠] .

كما نلحظ هنا مفردة (يلد – الولادة) وهو فعل–يلد – مضارع يدل على أن الحضور والاستمرارية لحين الانتهاء منه ما يعني أن فعل المقاومة ضد الاستعمار بدأ ومستمر لحين التخلص من الاستبداد والاستعمار وتحرير ارض الوطن منه ، والولادة كما معروف قد لا تأتي بسهولة وقد تأتي بعد تضحيات جسام أحيانا ، والولادة هنا متأتية من مخاض الصحراء التي لا تلد إلا الأبطال الشجعان .

ولقدا ختار ألجواهري (البحر البسيط) للإيقاع الجميل الذي يحمله هذا البحر، وفي هذه القصيدة من الجناس ما فيها وفيها من التراقص العروضي ما يطرب الأذن سمعا وإيقاعا، إيقاع يتناسب مع موضوع القصيدة .

ونلاحظ أيضا استخدام الشاعر لمفردة (الرمل) وهو تراب الصحراء وارض الصحراء رملية ، والرمل مادة حبيبية طبيعية تتكون من جزيئات الصخور المفتتة الناعمة وفتات المعادن ، ويدخل كمادة أولية في الكثير الكثير من الصناعات الحديثة ، لذا يعتبره البعض المادة الأساس في بناء الحضارة الحديثة ، هذا المعنى نجده يتقارب مع معنى هذه المفردة في القصيدة والتي تدل على إن هذه الرمال ممتلئة ومعبئة حرية ودعوة لرفض الاستعمار ومتماسكة يضم بعضها بعضا فهي أساس بناء الحضارة الجديدة والحرية المنشودة ، وهذه الحقيقة المتجذرة في نفوس الأحرار نراها ممتدة ومفتوحة لا يحدها حد كرمل الصحراء المترامي الأطراف .

ثم يقول :

صحراء يا حرة مكمودة عنتا مهلا فكم فرحة وافى بها كمد

يكرر الشاعر مفردة (الصحراء) ولكنها بلون مغاير حزين سقيم فهي وان كانت حرة إلا أنها تصبغت بلون الألم والشدة والمشقة فهي (مكمودة) حزينة حُزنا شديدا وواقعة في شدَّة وَكَتمت حزنها إلى وقت معلوم لتنفض الألم وترتاح منه إلى الأبد بواسطة أبنائها الذين سيجعلون كمَادة الحرية العلاج الذي يزيل الألم عنها وهذه المشقة التي تكابدها ستكون سببا إلى خلاصها وفرحتها ، والجواهري بهذا الوصف الدقيق للصحراء ورمالها كمكان مارس فيها فعله الثقافي نتيجة تأثر وتأثير بالمكان فـ(ثقافة المكان في النص الإبداعي تتجاوز حدود المكان الجغرافي إلى الزمني المتغير) [١١].

ويقول ألجواهري في قصيدة (خلف غاشية الخنوع) [١٢] :

يا شامُ يا لَمْح الكواكب في دُجىً يا موكب الأعراس في صحراء
يا موئلَ الذكرى يغطّي أرضها وسماءَها حشْد من الأصداء
يا أم اقيالٍ ومدرج امة وعرين اشبال وكهف رجاء
يا اخت غسانٍ ينادم رهطه يوما بجلق سيد الشعراء

هذه القصيدة قالها في دمشق عام ١٩٦٥ في ذكرى مصرع الشهيد العقيد عدنان المالكي وكان ممثلا عن العراق بدعوة من الجيش السوري ، يتغنى ألجواهري هنا بالشام ويلبسها ملبس المواكب في الصحراء أو يضعها موضعه ، فشاعرنا دائما يحن إلى ارض الصحراء ويتغنى بها ويؤالف بينها وبين المدينة فقد ورد توليفه بين ثنائية الصحراء والمدينة في مواقع عدة في ديوانه وهذا إن يدل فانه يدل على أن الصحراء في فكره وثقافته تتمتع بما تتمتع به المدينة من جمال وحضارة وثقافة وروعة ، فاستدعاءه للصحراء هنا ومؤ الفته بينها وبين دمشق هو ناتج عن حبه وتفاعله مع هذين المكانين المرونة ويتميز ألجواهري بمرونة كبيرة(يبديها إزاء الأماكن فهو يستجيب لها بسرعة هائلة ، ويتفاعل معها تفاعلا ايجابيا) [١٣] ، يضاف إلى ذلك إن الشاعر هنا شبه الشام بأجمل تشبيه انتزعه من مخيلته وموروثه الثقافي وهو منظر العرس الذي لا أجمل منه في الغبطة والبهجة والسرور في إطار الصحراء المحبوبة البريئة لديه ، وهنا تبن لنا مدى حضور الصحراء وأنساقها القارة في ذهن الشاعر على الرغم من انه يخاطب مكانا مدنيا حضاريا.

إن هذه العبارة (موكب الأعراس في صحراء) صورة جديدة جميلة تربط الماضي بالحاضر فبالتأكيد إن الشاعر يقصد موكب العرس الحديث بشكله وهيئته وأشخاصه وأدواته وهو يسير في صحراء قاحلة جرداء لا روح فيها وهذا التصوير هو الذي أعطى الجمالية للمكان بصورة مغايرة فـ(فالقدرة الحقيقية لجماليات المكان في القصيدة الحديثة هي تقديم الصورة بطريقه مختلفة عن ألطريقه التي تقدمها بها أية جماليه أخرى ، فالمكان من أكثر الأنساق الفكرية في بناء الشعر الحديث تعقيدا ، ونحن لا نقرا المكان بوصفه مكانا طبيعيا وإنما نعني بالمكان كيفيه الخلق الحسي الصورة ، والارتفاع بها إلى مصاف الجمال المادي للأشياء) [١٤].

ويقول في موضع أخر[١٥] :

عـدنان يـا لطفـاً تفجـرَ عـن دَمٍ يـا جـدولاً ينسـاب فـي الصـحراءِ
يـا ضـحكةَ الفجـرِ النـديِّ تهشـمت بنعيـــب فُوهـــةٍ بومـــةٍ نكـــراءِ

إن (انسياب الجدول في الصحراء) صورة شفافة جميلة صورها الشاعر لشخصية الفقيد لتعبر عن روحه الندية التي تروي الجدب والقحط والشهيد بدمه يروي الأرض اليباب، وهذه الصورة الواردة أعلاه هي رسم غير مألوف في الواقع فالجدول ينساب في الحقول والمزارع والغابات والأراضي الخضراء وهذا هو الأمر الطبيعي ، إلا أن الشاعر أراد أن ينزاح عن الطبيعي ليرسم لنا صورة تبين حقيقة الشهيد وما يستطيع أن يفعله بدمه وثورته من أفاعيل بعد استشهاده ، وبهذا استطاع ألجواهري أن يجعل (اللاحي حياً والمجرد محسوساً واللفظ العام خاصاً لأنسنة الكون وتشخيصه وتمكينه وتزمينه لدواعٍ نفسانية واجتماعية ولغوية) [١٦] ، وهذه الصياغة الشعرية والصورة الشعرية والأسلوب الشعري هي "الخمرة الجديدة في الزقاق القديمة" التي أشار إليها الأستاذ رئيف خوري(١٩٣١ – ١٩٦٧)، في مجلّة "الآداب" البيروتيّة، إذ يقول ((والجواهري فحل من فحول الشعراء المعاصرين وهو في التعبير الشعري اميل الى النهج الكلاسيكي من النهج المولد الحديث على أن الكثير من صوره ومعانيه جديدة فهو من القادرين على وضع الخمر الجديد في الزقاق القديمة)) [١٧] .

ويقول في موضع اخر[١٨] :

بماذا يخوِّفني الأرْذَلُونَ وممَّ تخافُ صِلالُ الفلا؟
أيُسْلبُ عنها نعيمُ الهجيرِ ونفحُ الرمالِ ، وبذْخُ العرا

وتتوالى مفردة (الصحراء) في شعر ألجواهري ولكن هذه المرة ليست بنفس اللفظ وإنما بما يشير إليه ،وردت هذه الأبيات في مطولته (المقصورة) التي نظمت في أواسط ١٩٤٧ وهي مشتملة في الأصل على ما يقارب أربع مائة بيتا من الشعر ، شبه الشاعر هنا نفسه وذاته بـ(صلَ الصحراء) الذي لا ليس لديه شيء يخسره ، غير الهجير والرمل الملتهب في هذه الأرض ، وهي صورة واضحة للتعبير عن مدى

حضور الصحراء وما يتعلق بها في ذاكرته ومخيلته ، وهو هنا في طور التهديد للارذلين بكل معنى الكلمة ، لذلك استخدم شاعرنا مفردة (صلَ الصحراء) وهو حيوان صحراوي فتاك ومما يزيد من خطورة سمَه عدم شربه الماء ، يضاف لها سرعة (الصلَ) وهجومه الذي يركزه على وجه الفريسة ، و(صلَ الصحراء) خطورته تفوق خطورة بعض الثعابين والحيات التي تربى في المدن أو المنازل أو الماء والتي تكون اقل فتكا وضررا وهجوما منه ، وقد اكتسب . الصلُ . هذه المميزات من ارض الصحراء التي عودته وطبعته على الشراسة ولولاها لكان كالباقين فتكا وضررا وليس أكثر منهم ، إذن فالصحراء كانت العامل المهم لتنامي خطورته ، وكذا شاعرنا فان الصحراء أشربته مشاربها المعنوية ليكون أكثر قوة وصلابة ، هذه الصفات استعارها الشاعر لذاته والبس نفسه لباسها للدلالة على ما يضمره ويحضره من هجوم للارذلين إذا تعدوا عليه أو حاولوا المساس به .

وقد استمد ألجواهري من الصحراء ألفاظه وصوره الشعرية إذ نراها انعكست على شعره هنا فهو ابن البيئة الصحراوية في النجف الأشرف التي لا ينفصل عنها وهذا ماعبر عنه ألجواهري بقوله: (ولدتُ فوق أرض ملحية عطشى بالرغم من أنها على مقربة ميل أو ميلين من مياه الفرات) [١٩] ، إن هذا التشبيه بين الذات والصحراء وما يتعلق بها هو صورة تربط التراث بالحاضر وهذا ما يميز صوره الشعرية إذ أنها (تجمع القديم إلى جانب المعاصر، فلا تتخلى عن التراث الكلاسيكي بشعره ونثره ونصوصه الدينية ، ولا تنبت في الوقت ذاته عن الحياة المعاصرة بكل قيمها وحساسياتها الجديدة) [٢٠].

يقول ألجواهري في قصيدته (أمنت بالحسين) [٢١] :

شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبَّ النَّسِيمُ نَسِيمُ الكَرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ

وهي قصيدة ألقاها في كربلاء ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧ في ذكرى استشهاد الإمام الحسين ع ، و(البلقع) الأرض القفر هي الصحراء أو مرادف لها ، بَلقع وبَلقعة: الأرض القَفرالتي لاشيء فيها من شجر ونحوه [٢٢]، وقد استخدم الشاعر هنا هذه المفردة إيمانا منه بكرامة الصحراء ، فالصحراء هي ارض الكرامة وهي ارض الحرية

وهذه المعاني لم تأت هنا اعتباطا بل جاءت متناسقة وموضوع القصيدة ، فالقصيدة تتحدث عن سيد الحرية وإمام الكرامة الإمام الحسين ع ، وصورة الصحراء التي هي منبع الحرية والكرامة لم تفارق خيال شاعرنا بل هي معان قارة في مخيلته وذاكرته .

وصحراء شاعرنا كأنها شخصية حية حرة واضحة المعالم وكأنها كائن حي جدير بالعناية ، وهو بهذا جعلها متنا جماليا طغت على سماته السلبية سمات الجمال والكرامة والحرية المنشودة ، فمن أراد العيش حرا عليه أن يعاني ويكابد الألم ويتحمل القسوة وهذا ما فعله الإمام الحسين ع إذ نادى (هيهات منا الذلة) وهو خطاب ثوري يحمل ويتحمل كل التبعات إلا العيش بدون حرية الحق وحق الحرية .

ويترسل شاعرنا في صياغة عوالمه الشعرية المستوحاة من الموروث الصحرواي ، يقول [٢٣] :

تحلَّبَ أقوامٌ ضُرُوعً المنافِع ورحتُ بوسقٍ من أديبٍ و بارع
وعَلَّلتُ أطفالي بَشرٍّ تعلـّةٍ خُلودِ أبيهم في بُطونِ المجامع
وراجعتُ أشعاري سِجَّلاً فلم أجِدْ بهِ غيرَ ما يُودي بِحِلْمِ المُراجِع
ومُسْتَنْكرٍ شَيْباً قُبيلَ أوانــهِ أقولُ له : هذا غبارُ الوقائع
طرحتُ عصا التِّرحالِ واعتَضتُ متْعباً حياةَ المُجاري عن حياةِ المُقارِع

الحليب والضرع من العناصر الكلاسيكية في الشعر وحياة العرب الأوائل ، فاللبن في حياة ساكن الصحراء له من الأهمية ما لغيره منها ، والجواهري يستخدم هذه الألفاظ والمفردات المتعلقة بالصحراء ليرمز بهما إلى الثروة والاطمئنان النفسي الغذائي لساكن الصحراء إن صح التعبير من ناحية، وعن استغلال الشعب وسلب ثروته من ناحية أخرى ، والرمز تشكل ذاتي في تخييلة الشاعر وهو أقصى درجات عبقرية الأديب التخييلية في صناعة عوالم شعرية بطريقة أكثر خصوبة وجمالا[٢٤]، وقد وظّف ألجواهري الرمز هنا للدلالة عن متعلقات الصحراء المكان الصحراوي ببراعة وفنيّة متقنة، وذلك يسمح للقارئ والمتلقي بالمقاربة الذهنية وفق رؤيته وثقافته ، و(هكذا يتحول مخزون لشاعر الثقافي إلى مادة جديدة منصهرة في إطار عصر الشاعر ومتغيراته ، إن هذا المخزون ليبدو متحركا حيا، نفض عنه الشاعر غبار تعطله بقوة تخيله) [٢٥] .

النتائج

إن دراسة أي حقل أو أي موضوع في شعر ألجواهري ليست بالأمر الهين لأنه ألجواهري ببساطة ، فهو شاعر مبدع، متمكن من لغته ، فقد سبر أغوارها واستطاع النفاذ إلى أسرارها ، وقد تمكنت روح الماضي من الشاعر لتلقي بضلالها على ألفاظه ومفرداته وصوره ومخيلته الشعرية ، وقد حاولنا تلخيص بعض النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث :

١ـ استطاع ألجواهري التأثير في المتلقي العربي تجاه قضايا مجتمعهِ وعصره ، من خلال مفردة الصحراء خاصة كما رأينا في قصيدته للشعب المغربي حيث أجج المشاعر العربية بتلك الصورة لما لهم من ارتباط بالأرض الصحراوية .

٢ـ إن استخدامه أسلوب ربط الماضي بالحاضر من خلال ربط مفردة الصحراء وتراثها بحداثة المدن والقضايا السياسية والاجتماعية كان له وقعه في نفس المتلقي.

٣. لم يوظف الشاعر هذه المفردة للدلالة على تاريخية المفردة بل وظفها بشكل فني رائع .

٤ـ أفاد ألجواهري من استخدامه بعض البحور الشعرية التي تناسب وهذه المفردة وموضوع القصيدة كبحر البسيط مثلا.

٥ـ بروز الوجه الوطني بشكل واضح للجواهري فيما يتعلق باستخدامه لهذه المفردة للدلالة على تعلقه بأرضه وتراثه .

٦. بروز طابع الاغتراب النفسي والحنين للأرض والبيئة التي عاشها الشاعر

الهوامش:

١. دلالة المكان في الشعر الجاهلي: ٩٢.
٢. جماليات المكان : اعتدال عثمان ،٧٦.
٣. جماليات المكان : جاستون باشلار، ٣١.
٤. ظ : لسان العرب: 443 .
٥. .ظ : معجم مقاييس اللغة : مادة صحر ،٣٣١.
٦. .بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ج٢، ٣١٦.
٧. ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني : ١٦.
٨. .ديوان ألجواهري: محمد مهدي ألجواهري،ج٦ ، ١٨٧.
٩. تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج : ٢٩٣.
١٠. ظ: ألجواهري جغرافية الكتابة وأثرها في تحولاته الشعرية :١ .
١١. ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية : ٢٦٤ .
١٢. ديوان ألجواهري: ج٤، ٢٢٣.
١٣. ألجواهري جغرافية الكتابة وأثرها في تحولاته الشعرية : ١.
١٤. إشكالية المكان في النص الأدبي: ١.
١٥. ديوان ألجواهري : ج٤، ٢١٩.
١٦. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) : ٩٥ .
١٧. قرأت في العدد الماضي من الآداب : رئيف خوري ٦٦.
١٨. ديوان ألجواهري: ج٣، ٢٠٦.
١٩. ألجواهري شاعر العربية : عبد الكريم الدجيلي ، ٢٩ .
٢٠. مجمع الأضداد دراسة في سيرة ألجواهري وشعره : د.سليمان جبران ،١٩٣.
٢١. ديوان ألجواهري : ج٣، ٢٣٣.
٢٢. ظ : لسان العرب: ج٨،٢١، مادة بلقع.
٢٣. ديوان ألجواهري : ج٣، ٢٤.
٢٤. ظ: جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي: جيهان عوض أبو العمرين، ١٨٢.
٢٥. تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج : ٢٨٩.

مصادر البحث:

١. إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١،١٩٨٦،٣٩٤.

٢. ألجواهري جغرافية الكتابة وأثرها في تحولاته الشعرية : د.عارف حمود سالم ، بحث ،مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، م٥٨ ، ع٣ ، ٢٠١٩.

٣. ألجواهري شاعر العربية : عبد الكريم الدجيلي مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ط١ ، ١٩٧٢م .

٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لبنان .

٥. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥ .

٦. تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج :د. علي عباس علوان ، منشورات وزارة الإعلام ، العراق ، ١٩٧٥ .

٧. ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية :د.فارس عبد الله بدر الرحاوي ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، م١١، ع ٢ ، ٢٠١١ .

٨. جماليات المكان : بحث :اعتدال عثمان ،مجلة الأقلام ، ع٢، بغداد ، ١٩٨٦ .

٩. جماليات المكان : جاستون باشلار، ت : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، لبنان ، ط٥ .

١٠.جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي: جيهان عوض أبو العمرين، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر٢٠١٣/٢٠١٤.

١١.دلالة المكان في الشعر الجاهلي:بحث ،د عمار بن لقريشي ، . أ معمري فواز، جامعة محمد بوضياف / المسيلة ، حوليات الآداب واللغات .

١٢.ديوان ألجواهري: محمد مهدي ألجواهري،جمعه وحققه واشرف على طبعه :د.إبراهيم السامرائي،د.مهدي المخزومي،د.علي جواد الطاهر،رشيد بكتاش ، مطبعة الأديب البغدادية ، بغداد ، العراق ، ١٩٧٣ .

13. A desert In the hadith Literature and philosophy Aesthetics of Arid Land Aidan Tainan ،

الصحراء في الحديث الأدب و فلسفة جماليات الأرض القاحلة : ايدان تينان ، مطبعة جامعة إدنبرة ، قانون حقوق النشر والتصاميم وبراءات الاختراع لعام ١٩٨٨ ، لوائح حق المؤلف والحقوق المجاورة لعام ٢٠٠٣ .

١٤. قرأت في العدد الماضي من الآداب : رئيف خوري ، مجلة الآداب ، بيروت ، لبنان ، ع٢ ، ١٩٥٥ .

١٥. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط .

١٦. مجمع الأضداد دراسة في سيرة ألجواهري وشعره : د.سليمان جبران ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

١٧. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا ، ت عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط١ .

١٨. ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ، ط١ ، **2000** .

Desert ethics, myths of nature and novel form in the narratives of Ibrahim Al-Koni: Fiona Moolla ،Articl IN Tydskrif vir Letterkunde · September 2015

أخلاقيات الصحراء وأساطير الطبيعة والرواية في روايات إبراهيم الكوني : فاينا مولا .